International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA
Volume 3, Issue 2, 2021

Predicate, construction, and manifestations of semantic transformation in the Holy Qur'an

Dr. Doha Al-Shamayleh

Mu'tah University, Faculty of Arts, Department of Arabic Language, Jordan

Received: 8/3/2021
Revised: 12/4/2021
Accepted: 17/5/2021
Published online: 27/6/2021

* *Corresponding author:*
Email: dr.wsam.h@utq.edu.iq

https://doi.org/10.65811/323

Citation: Al-Shamayleh, D. (2021). Predicate, construction, and manifestations of semantic transformation in the Holy Qur'an. *International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 3(2).*

©2021 The Author (s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 2706-8455

Abstract

This research aims to highlight aspects of distinction in the style of the Noble Qur'an by talking about the features of the semantic shift that occur in the news sentence, so it transfers it from its informative meaning to a constructive meaning that gives the style more depth and significance, and this research aims to highlight the most important linguistic patterns that it transforms into The news is about the verses of the Noble Qur'an, in addition to explaining the effect of the Qur'anic context in referring to the meaning of the linguistic style within the news sentence..

Keywords: Predicate, Construction, Manifestations of semantic transformation.

الخبر والإنشاء ومظاهر التحول الدلالي في القرآن الكريم

د. دعاء الرواشدة

الملخص: يهدف هذا البحث إلى إبراز جوانب التميز في أسلوب القرآن الكريم، وذلك بالحديث عن ملامح التحول الدلالي التي تطرأ على الجملة الإخبارية، فتنقلها من معناها الخبري إلى معنى إنشائي يمنح النمط مزيداً من العمق والدلالة، كما هدف هذ البحث إلى إبراز أهم الأنماط اللغوية التي يتحول لها الخبر في آيات القرآن الكريم، علاوة على بيان أثر السياق القرآني في الإشارة إلى معنى النمط اللغوي ضمن الجملة الإخبارية.

الكلمات الدالة: الخبر، الإنشاء، مظاهر التحول الدلالي.

يتكون الكلام في لغتنا العربية من جانبين اثنين باعتبار طبيعة الخطاب، الجانب الأول: وهو الجانب الإخباري، ويختص هذا النوع من أنواع الكلام بالدلالة على الخبر دون انتظار شيء من المتلقي، أي أن تكون الجملة مجرد خبر يحتمل الصدق والكذب، وفيه من المؤكدات اللفظية والدلالية ما فيه ليحكم عناصر تلك الدلالة الإخبارية.

أما الجانب الثاني فهو جانب إنشائي، أي لا يحتمل الصدق ولا الكذب، وإنما هو إنشاء، ويقسم البلاغيون الإنشاء إلى قسمين كبيرين، أما الأول فهو الإنشاء الطلبي، وهو ما يقتضي وجود طلب من المتلقي وقت صدور الكلام عن المتكلم، وإنشاء غير طلبي، بمعنى أنه لا يقتضي مطلوباً حال الكلام.

وهناك حدود فاصلة بين هذين النمطين من الكلام في العربية، وهذه الحدود الفاصلة أكثرها يدخل في الجوانب الشكلية، أي إن الشكل التركيبي للسلسلة الكلامية هو الذي يحكم عليها بالخبر أو الإنشاء.

غير أن الكلام الرباني المتمثل بآيات القرآن الكريم لا تخضع لهذه المعايير خضوعاً حاسماً، بل نجد أن الخبر فيها لا يحتمل الكذب، بل هو خبر يحتمل الصدق فحسب؛ لأنه من لدن الله عز وجل، ونحن بعقيدتنا الإسلامية نصدق كل ما جاء في القرآن الكريم، فهو جزء من إيماننا بالله وحده، والقرآن كلام الله؛ لذا لا يصلح أن نقيسه بمقاييس الكلام العربي الآخر ولو في بعض الأحوال الحاسمة مثل هذه الجوانب الدلالية.

كما يختلف النمط القرآني باشتماله على مجموعة من الاستعمالات الكلامية التي عثرت عليها تظهر فيها الجملة بمظهر الخبر، إلا أن معناها إنشائي بحت، فمثلاً قد تدل الجملة الإخبارية على الأمر، أو الاستفهام، أو النهي، أو غير ذلك من المعاني الإنشائية، وذلك مرتبط بسياق الكلام، ومجموعة الدلائل اللفظية والمعنوية المحيطة بهذه الجملة الكلامية.

وتحاول هذه الدراسة أن ترصد مجموعة التحولات الدلالية التي وردت في كتاب الله تعالى، التي انتقلت فيها الدلالة من الخبر إلى الإنشاء وفقاً لمعايير المعنى والسياق.

وتظهر أهمية هذه الدراسة من جهة أنها تتناول الحديث عن كتاب الله تعالى، وإن أي دراسة تتحدث عن القرآن الكريم تكتسب منه شيئاً من القداسة والحتمية الناشئة من

طبيعة صفة القرآن الكريم بأنه منقول لا خلل فيه ولا خطأ، كما تظهر أهمية هذه الدراسة في أنها تكشف عن طريقة دلالية ذات أهمية بالغة في خطاب المخاطب للمتلقي، حيث إنها تحمل معانيَ جديدة منها ما فيه التلطف ومنها ما فيه عدم الإلزام إلى غير ذلك من المعاني والدلالات المختلفة.

وبناء على ذلك فقد جاءت هذه الدراسة لتحاول أن تجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما معنى الدلالة؟
- ما الفرق بين الخبر والإنشاء؟
- ما هي أبرز الأنماط الإنشائية التي تنتقل إليها جملة الخبر؟
- كيف يقع التحول الدلالي بين الخبر والإنشاء ضمن النص القرآني؟

وتهدف هذه الدراسة إلى البحث في مفهوم الخبر والإنشاء، وبيان العلاقة التكاملية بين هذين الجانبين الدلاليين في اللغة العربية، كما تهدف إلى توضيح طبيعة التحول الدلالي الطارئ على الجملة الإخبارية لتنتقل إلى جملة إنشائية في معناها، ولتشير إلى نمط لغوي آخر مستتر تحت هذه الجملة الإخبارية، كما تهدف إلى بيان جمال اللغة العربية واتساع فصاحتها وقوة دلالتها وفقاً لما يطرأ على هذه الجمل من تحولات وتغيّرات.

وقد وُجِدت مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت الحديث عن الأساليب النحوية، وتطرّقت بشكل مباشر أو غير مباشر لموضوع الدراسة. مثل:

- أبو جري، محمد عودة. أساليب الشرط والقسم في القرآن الكريم، دراسة وصفية تاريخية، وهذه الدراسة لا تختلف كثيراً عن سابقتها، فإنها لم تتناول الحديث عن موضوع التحول الدلالي بين الخبر والإنشاء في الجملة الإخبارية، ودلالتها على النمط اللغوي.
- الشجراوي، عزام. أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم بين النحو والبلاغة، وهذه الدراسة تناولت بعض مظاهر التحول في أسلوب الاستفهام، غير أنها لم تتحدث عن قضية تحول الدلالة عبر الجملة الإخبارية.

- غنام، محمد فواز. أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم على رأي الجرجاني، وهذه الدراسة تتناول شيئاً من موضوعات التحول في أسلوب التقديم والتأخير بذاته دون التطرق لسواه من الأنماط اللغوية الأخرى.

- استيتية، سمير. الشرط والاستفهام في القرآن الكريم، وكما هو واضح من عنوان هذه الدراسة فإنها تتحدث عن أسلوبي الشرط والاستفهام في العربية دون أن تتناول موضوع التحول الدلالي بين الخبر والإنشاء في الأنماط اللغوية المختلفة.

- عضيمة، محمد عبد الخالق. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ويغلب على هذه الدراسة الطابع الإحصائي أكثر من الطابع التحليلي المباشر، فهي تتحدث عن أساليب القرآن الكريم بصورة مسحية شاملة، في حين أنها لم تتحدث عن تحولات الخبر إلى أنماط لغوية مغايرة لما عليه الحال في هذه الدراسة.

سيتحدث هذا البحث عن مفهوم الخبر والإنشاء، وتحولات الخبر والإنشاء، وأسباب التحول، كالسياق، والتركيب، وما يعضده من شواهد أخرى، وغير ذلك من الأسباب.

التمهيد

دلالة الجملة

تتشكل اللغة في عموم تكوينها من مجموعة من المستويات التي تجتمع مكونة مع بعضها الجسم المادي لها، وهذه المستويات تنفصل عن بعضها بخيوط رفيعة يتسنى لطالب الدرس اللغوي أن يلحظها، غير أنها لا تتباعد بالهيئة التي يمكن معها فصل كل مستوى على حدة، فإفراد كل مستوى من هذه المستويات عما سواه من المستويات اللغوية الأخرى لا يعني انفصاله عنها، إنما تتلاحم تلك المستويات، وتتشابك مكونة اللغة برمتها، ويجب على الباحث أن يعي تماماً تلك العلاقات الناظمة لتلك المستويات مع بعضها بعضاً[1]، فدراسة أي مستوى منفرداً عن سواه من المستويات الأخرى لا يجعله منفصلاً عنها، بل هو جزء منها، وعلاقته بالكل علاقة ضرورية لتكوين اللغة المعبرة القادرة على أداء وظيفتها التواصلية بحدّها الأدنى.

وحين يكون الحديث عن المستويات اللغوية فإننا لا نعني بهذه المستويات المستوى

[1] [] انظر: حجازي، محمود فهمي (٢٠٠٦).مدخل إلى علم اللغة العربية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ط، ص: ٢٥.

الفصيح والمستوى العامي، وغيرها من المستويات الثقافية التي لا شك أنه يطلق عليها هذا المصطلح[٢]، وإنما نعني بمصطلح المستويات اللغوية تلك المستويات التي تقوم بتشكيل جسم اللغة نفسها، أي المستوى الصوتي والنحوي والصرفي والدلالي بوجه العموم .[٣]

وتمهيداً لموضوع هذه البحث لا بد من أن نتطرق للحديث عن مفهوم الدلالة، إذ تشير المعاجم اللغوية إلى أن كلمة "الدلالة" مأخوذة من الجذر اللغوي "دَلَلَ"، ومنه تشتق مفردات كالدليل، والدلال، والدالة، والدلالة، وغيرها من الألفاظ .[٤]

وكلمة الدلالة بفتح الدال وكسرها، مأخوذة من الدليل[٥]، ويبين ابن فارس أن هذا الجذر يشير لمعنيين اثنين، الأول: الإبانة عن الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر: اضطراب في الشيء[٦]، وما يهمنا طبعاً من هذين المعنيين المعنى الأول.

فأصل المعنى اللغوي للدلالة مأخوذ من الدليل، والدليل قائم على أساس الإرشاد والتبيين، والدَّلالة والدِّلالة الاسم المشتق من الدليل، ومنه رجل دلّيلى: أي عالم بالدلالة، راسخ فيها، ويقال أيضاً: دَلَلْتُ بهذا الطريق: عرفته، ويوصف الفقيه بأنه دليل؛ لأنه يدلّ الناس على الخير .[٧]

يتضح من خلال المعنى اللغوي أن الجذر (دلل) يرتكز على فكرة الإبانة والتوضيح والمعرفة، وذلك انطلاقاً من طبيعة الجذر اللغوي المشتق منه هذا المصطلح، ومن جهة ثانية فإن هذا المصطلح مرتبط في معناه اللغوي بكلمة "الدليل"، فالدلالة اسم للإشارة إلى الدليل.

أما مفهوم الدلالة اصطلاحاً، فيبين الجرجاني ذلك بقوله: " هي كون الشيء بحالة يلزم من

---

[٢] انظر: بشر، كمال (د.ت). دراسات في علم اللغة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ط، ص: ٢٢٠.

[٣] انظر: السعران، محمود (١٩٩٧م). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية، ص: ١٣، ٢٥٣.

[٤] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (د.ت). العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ومهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، د.ط، ج: ٨، ص: ٨، الجذر: دلل".

[٥] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (١٩٨٧م). جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ١١٤، الجذر: دَلَلَ".

[٦] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (١٩٧٩م). مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: ٢، ص: ٢٥٩.

[٧] ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (١٤١٤هـ). لسان العرب،تحقيق: عبدالسلام هارون، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ج: ١١، ص: ٢٤٩، الجذر: دَلَلَ.

العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص. ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتًا بنفس النظم، أو لا، والأول: إن كان النظم مسوقًا له، فهو العبارة، وإلا فالإشارة، والثاني: إن كان الحكم مفهومًا من اللفظ لغة فهو الدلالة، أو شرعًا فهو الاقتضاء؛ فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادًا" .[٨]

يمكن القول بأن تعريف الدلالة السابق عند الجرجاني يركز على النواحي الآتية:

- تتكون الدلالة من عنصرين: دال ومدلول.
- يمثل الدال الجزء الذي يقتضي العلم به العلم بشيء آخر، ويمثل المدلول الشيء الآخر الذي تفترض معرفته بمعرفة الشيء الأول.
- دلالة النص هي عبارة عن ما ثبت في النص نفسه بمفهوم اللغة وليس باجتهاد وتأويل.

ويختصر السيوطي مفهوم الدلالة بقوله: هي الجمع بين الأصل والفرع بأمر زائد على العلة[٩]، بمعنى أن الدلالة تنتج من الجمع بين هذين الركنين، فهي فائدة زائدة على الأصل والفرع، ومن جانب آخر فالدلالة كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر .[١٠]

من هنا فإن مفهوم الدلالة في الاصطلاح قائم على أساس العلم بشيء آخر استناداً إلى العلم بشيء أول سابق له، فهو الوصول إلى شيء آخر اعتماداً على شيء سابق يشير إلى الفكرة نفسها.

وتناقش الدلالة في اللغة ضمن علم خاص يطلق عليه علم الدلالة، وهو العلم الذي

---

[٨] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (١٩٨٣م). كتاب التعريفات، ضبطه وحققه مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: ١٠٤.

[٩] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٢٠٠٤م). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ص: ٦٧.

[١٠] السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا (١٤١١هـ). الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: ٧٩.

يختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب في سياقاتها المختلفة .[١١]

وعلم الدلالة يُناقش في اللغة ضمن أحد مستوياتها، إنْ لم يكن الأهم منها، وهو المستوى الدلالي، إذ يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن هذا المستوى يمثل قمة المستويات اللغوية، فهو الذي لأجله يُبحث المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي كذلك، إذ هو غاية المعنى، ومنتهى العبارة التي يسعى إليها أبناء اللغة .[١٢]

من هنا فإن المستوى الدلالي يمثل أحد أهم مستويات اللغة، وهذه الدراسة تسعى إلى البحث في بعض جوانبه، التي تتعلق بتحوّلات الدلالة ضمن عناصر الخبر والإنشاء في اللغة بصورة عامة ، وفي القرآن الكريم بصفة خاصة، إذ يفرّق أهل اللغة عموماً، والبلاغيون خصوصاً بين هذين المصطلحين، وما يدل عليه كل منهما، فالخبر شيء مختلف عن الإنشاء، ولكل منهما أحواله وخصائصه التي يختص بها عن نظيره.

فالجملة الإخبارية تختص بجانب الخبر من المتكلم إلى المتلقي، وهي في عموم معناها تشير إلى كون هذه الجملة قابلة للصدق والكذب، في حين أن الإنشاء لا يحتمل الصدق ولا الكذب، من هذا المنطلق أخذ البلاغيون نظرتهم الضدية بين الخبر والإنشاء، فالخبر ضديد الإنشاء، وإنْ لم يكن هذا التضاد واضحاً تمام الوضوح، غير أنه موجود بأي حال، ولا يمكن للجملة الخبرية أن تكون جملة إنشائية في وقت واحد، بل ربما تدل الجملة الخبرية على الإنشاء، أي أن تكون في معناه، ويكون القصد منها الإنشاء، والعكس بالعكس[١٣]، من هنا يظهر التلاقي بين هذين القسيمين في الجملة العربية.

وفي مقابل الجملة الإخبارية في العربية نجد الجملة الإنشائية، وهو ما كان يطلق عليه القدماء مصطلح "الإنشاء" والإنشاء بدوره ينقسم إلى قسمين كبيرين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي، فالإنشاء الطلبي هو ما يقتضي مطلوباً وقت التكلم بالعبارة الإنشائية، فالأمر مثلاً أحد أنواع الإنشاء الطلبي، بمعنى أنه لا يستقيم معنى الأمر إلا بوجود مأمور وقت الأمر، وهذا ما ينطبق على النهي، والتمني، والاستفهام، والنداء، والترجي، إذ لا بد من وجود طرف

---

[١١] عمر، أحمد مختار (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٧٦٤.

[١٢] السعران. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: ١١.

[١٣] انظر: الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي (١٤٢٣هـ). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ج: ٣، ص: ١٦٢.

مقابل يقتضيه الطلب ضمن هذه الأنواع من الإنشاء، ولو كان ذلك الطرف مجازياً .[١٤]

وفي مقابل الإنشاء الطلبي، نجد الإنشاء غير الطلبي، وهو بعبارة مختصرة ما لا يقتضي مطلوباً حاصلاً وقت العبارة الإنشائية، وتندرج تحت هذا القسم مجموعة من الأنماط اللغوية التي تخضع لهذه الفكرة، من أبرزها المدح والذم، والرجاء، والقسم، وألفاظ العقود، والتعجب، فهذه الأنماط اللغوية جميعها تختص بالإنشاء غير الطلبي .[١٥]

إن هذا التقسيم المباشر للأنماط اللغوية العربية ضمن هذين البابين لا يقف عند حد الشكل الخارجي للنمط اللغوي، بل يتعداه ليختص بمجموعة من النواحي الداخلية الخاصة بهذه الأنماط، بمعنى أن الإنشاء يتداخل في معانيه ودلالاته، فنجد مثلاً أن الاستفهام يخرج عن مقتضاه العام الدال على فكرة الاستعلام عن الشيء، ليدل في كثير من الأحيان على الأمر، أو النهي، أو التعجب، أو التهكم، وغيرها من الأنماط اللغوية المختلفة، وما هذا الخروج عن أساس المعنى إلا دليل على فصاحة العرب، وتفننهم في أداء العبارات الإنشائية مازجين دلالاتها ببعضها بعضاً، ليتشكل عند المتلقي مظهراً دلالياً قد لا يجده في لغة أخرى كاللغة العربية .[١٦]

كان من المهم في تمهيد هذه الدراسة أن تعرّج على معنى الخبر والإنشاء انطلاقاً من أهميتهما ضمن هذه الدراسة، يمثلان الركن الأساس في تنظيم فكرة هذه الدراسة، وبيان نماذجها اللغوية المختلفة التي هي مشتقة من نصوص القرآن الكريم، إذ إن التحول الدلالي للخبر أو الإنشاء موضوع في غاية الأهمية – في ظن الباحثة – لما ينطوي عليه من تغيّر في المعنى، وزيادة في الفائدة للمتلقي.

أما النمط اللغوي الذي نعنيه في دراستنا هذه، فهو الأسلوب اللغوي، ويقصد بالإسلوب (التركيب اللغوي المحدد الذي يُعبر عن مواقف مطردة في الاستعمال) على الرغم من أن معنى كلمة "نمط" عامة في دلالتها، حتى في ميدان البحث اللغوي، فإن كلمة أنماط قد تطلق على

---

[١٤] [] انظر: القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، ج: ١، ص: ٧٠.

[١٥] [] القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، ج: ١، ص: ٦٩.

[١٦] [] انظر: الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن (١٩٩٦م). البلاغة العربية، دار القلم، دمشق . سوريا، والدار الشامية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٢٧٠.

المظاهر العامة للغة، كالجانب الاجتماعي، والثقافي، والعامي، وغيرها، كما يمكن أن يطلق مصطلح النمط على الجماعة المنضوية تحت موضوع ما، علاوة على أن هذا المصطلح يشير إلى معنى الرتابة في أداء العمل، يُزاد إلى ذلك معنى الأسلوب والطريقة[١٧]، وهو ما نعنيه في هذه الدراسة.

من هنا، فإن مصطلح النمط اللغوي دال على معنى الأساليب اللغوية الإنشائية التي نعرفها وفقاً لما تقتضيه هذه الدراسة، أما تحديد مفهوم الأسلوب اللغوي بحد ذاته، فإن علينا أن نعلم أن مفهوم الأسلوب عموماً قد خضع لمجموعة من وجهات النظر، ففي الوقت الذي نظر إليه الأسلوبيون من زاوية، نظر إليه اللغويون من زاوية أخرى، ونظر إليه النقاد والأدباء من زاوية ثالثة، بمعنى أن مفهوم الأسلوب بحد ذاته لم يكن مفهوماً واضحاً بمعالمه كافة، إذ ينظر إليه كل فريق وفقاً لمنظوره الخاص المعتمد على توجهاته الفكرية، وما يتبناه من من رؤى .[١٨]

نتيجة لذلك فقد تعددت معاني الأسلوب لدى كل فئة من هذه الفئات، حتى صار الأسلوبيون على سبيل المثال يقسمون مفاهيمهم الأسلوب بناء على المنظور العام للمفهوم، أي انطلاقاً من اهتمامهم بالمرسل، أو بالمتلقي، أو حتى بالرسالة اللغوية نفسها، فزاد ذلك في تعدد هذا المصطلح، واختلاف وجهات النظر حوله .[١٩]

ولكن هذا التعدد والاختلاف والكثرة في مفهوم الأسلوب يقودنا إلى تحديد ما نريده في هذه الدراسة بالأسلوب اللغوي، أو النمط اللغوي كما سنسميه، وهو مختص بمظاهر الأنماط الإنشائية في اللغة العربية، وما ينقل العبارة إليها بعد أن كانت خبرية في لفظها.

وفي هذه الدراسة، فإن سعي الباحثة الحثيث سينصب على بيان مظاهر التحول الدلالي بين الجملة الإخبارية والنمط اللغوي الداخل ضمن مظاهر الإنشاء، على أنماط منتقاة من آيات القرآن الكريم تحقق هدف الدراسة.

---

[١٧] انظر: عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة، ج: ٣، ص: ٢٢٨٦.

[١٨] انظر: القرارعة، عبد الله محمد خلف (٢٠١٣م). بنية الأساليب النحوية في الأداء القرآني، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، الكرك – الأردن، ص: ٨.

[١٩] انظر: عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد (١٩٩٦م). الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان . الأردن، ص: ٤٠ . ٤٦.

وقد أشار بعض العلماء القدماء[٢٠] إلى هذا التداخل بين الخبر والإنشاء، أو الخبر والنمط اللغوي على ما سنطلق عليه، وبيّنوا مجموعة من الغايات والفوائد التي تجنيها العبارة اللغوية من هذا التحول اللغوي، من مثل التلطف في الاستفهام أو الطلب أو الأمر، كما قد تقود هذه التحولات إلى مبالغة في المعنى، كما قد تدل على طلب الفعل والحث عليه، ومعانٍ أخرى كثيرة يمكن استلهامها من هذه الطبيعة التحوّلية التي تظهر بها الجملة اللغوية ضمن السياق اللغوي .[٢١]

وبناء على ما تقدم، فإن هذه الدراسة تبحث في مجموعة من الآيات القرآنية، وذلك وفقاً لطبيعة المعنى والسياق الذي تقوم عليه تلك الآية، فتكون الجملة على ذلك خبرية في لفظها، إنشائية في معناها، والإنشاء بدوره ينقسم إلى مجموعة كبيرة من الأنماط اللغوية، ومن ثم فإنها تبحث في ما يترتب على هذا التحول ضمن الجملة أو الآية القرآنية الكريمة في نواحي المعنى والتركيب، وتبحث في طبيعة هذا التحول وأسبابه ضمن كل أنموذج من نماذج الدراسة.

الخبر والإنشاء ومظاهر التحول الدلالي

جرت العادة في الاستعمال اللغوي الفصيح عند العرب أن يكون الكلام ضمن واحد من إطارين اثنين، فإما أن يكون الكلام إخباراً، أو أن يكون إنشاءً، ولا ثالث لهذين القسمين، فلا يمكن أن تكون الجملة إخبارية، وفي الوقت نفسه إنشائية، هكذا جرت العادة في الكلام العربي، إلا أن بعض التراكيب تخرج عن نمطيتها الإخبارية لتأخذ معنى الإنشاء، والعكس، وتسعى هذه الدراسة سعياً حثيثاً للوصول إلى مظاهر هذا التحول بين الخبر والإنشاء، وما يترتب على هذا التحول من معانٍ ودلالات ضمن سياقات لغوية متعددة، ولكن قبل ذلك لا بد من الوقوف على مفهوم الخبر والإنشاء بصورة موجزة، وبيان ملامح التحول الدلالي بينهما، وبيان الأسباب الموجبة لذلك التحول.

[٢٠] انظر مثلاً: ابن الشجري، أبو السعادات ضياء الدين هبة الله بن علي بن حمزة (١٩٩١م). أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٣٩٣.

[٢١] انظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، ص: ٩٣ . ٩٤.

وتعنى هذه الدراسة بالوقوف عند الخبر الذي يفيد الصدق والكذب في الكلام، لا بالخبر الذي يُعد أحد أركان الجملة الاسمية ويسند إلى المبتدأ، ومن الطبيعي جداً أن نشير هاهنا إلى التفريق الواضح بين مفهوم الخبر من جهة الدلالة، والخبر من جهة التركيب، فالخبر الذي هو أساساً ركن من أركان الجملة الاسمية: لفظ مجرد عن العوامل اللفظية مسند إلى ما تقدمه لفظا، نحو زيد قائم، أو تقدير، نحو أقائم زيد .[٢٢]

بمعنى أن إطلاق مصطلح "خبر" في هذه الدراسة لا نعني به الخبر التركيبي النحوي، أو الخبر بمفهوم النحاة، إنما نقصد الخبر بمفهوم البيانيين، الخبر الذي يقابل الإنشاء، إلا إذا احتاج السياق والكلام إلى الحديث عن الخبر النحوي فإننا سنوضح ذلك في مواضعه.

أولاً: مفهوم الخبر:

الخبر في اللغة مأخوذ من الجذر: خَبَرَ، وهو من المعرفة والعلم، يقال: خبرت الأمر، إذا علمته، وخبرت الأمر، إذا عرفته على حقيقته، ومن أسماء الله سبحانه وتعالى الخبير، أي: العالم بكل شيء، والخَبَر بالتحريك النبأ، والجمع: أخبار، أما "أخابير" فجمع الجمع .[٢٣]

فمختصر معنى الخبر في اللغة متمثل بالنبأ، أي: الخبر هو النبأ، ويختص أيضاً بالعلم والفهم، كقول القائل: خبرت بالشيء، أي علمت به، وهكذا، فالخبر مرتبط بمعنى العلم والفهم، كما يشير إلى النبأ إذا كان اسماً.

أما مفهوم الخبر في الاصطلاح فيذكر الجرجاني أنه متعلق بالكلام الذي يصح السكوت عليه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فالخبر كلام يحتمل الصدق والكذب .[٢٤]

ثم نجد السيوطي يأتي بمجموعة من آراء العلماء الذين تناولوا تعريف الخبر، فقال: "الْكَلَام الْمُحْتَمل للصدق وَالْكذب، وَقيل: الْمُحْتَمل للتصديق والتكذيب، وَقيل: الْكَلَام الْمُفِيد بِنَفسِهِ إِضَافَة أَمر من الْأُمُور إِلَى أَمر من الْأُمُور نفيا وإثباتا، وَقيل: الْكَلَام الْمُقْتَضى

---

[٢٢][]. المناوي، عبد الرءوف بن تاج العارفين (١٩٩٠م). التوقيف على مهمات التعاريف، دار عالم الكتب، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، ص: ١٥٢.

[٢٣][] ابن منظور. لسان العرب، ج: ٤، ص: ٢٢٦ – ٢٢٧، الجذر: خَبَرَ، والخبر النبأ ذكره أيضاً ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت). الخصائص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، الطبعة الرابعة، ج: ١، ص: ٣٣٨.

[٢٤][]الجرجاني. التعريفات، ص: ٩٦.

بصريحه نِسْبَة مَعْلُوم إِلَى مَعْلُوم بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَات" .[٢٥]

وعلى الرغم من حرص السيوطي على إيراد مجموعة التعريفات التي وصلته من تعريف الخبر، إلا أننا نجد أن جل تلك التعريفات لا تبتعد كثيراً عن المعنى العام الذي درج عليه العلماء، ألا وهو فكرة الصدق والكذب في مفهوم الخبر، فإن مسألة النفي والإثبات قريبة جداً من مسألة التصديق والتكذيب، وهكذا، بمعنى أن سائر المعاني التي وُضِعت للخبر لا تبتعد كثيراً عن المعنى الأساسي الموضوع له، وهو الصدق والكذب.

أما السنيكي فيبين أن الخبر ما له نسبة في الخارج، وهي فكرة بمعنى الدلالة على الصدق والكذب، إلا أنه لم يصرح بلفظ الصدق أو الكذب في هذه العبارة .[٢٦]

أما المناوي حينما أراد أن يبين مفهوم الخبر اكتفى ببيان أنه مجرد حديث منقول، فهو أشار بهذه العبارة إلى مفهوم الخبر في اللغة لا في الاصطلاح .[٢٧]

والخبر قَول مُشْتَمل على نِسْبَة هِيَ حِكَايَة عَن أَمر وَاقع وَمن شَأْن الْحِكَايَة أَن تتصف بالمطابقة وَعدمهَا وَلِهَذَا يحْتَمل الْخَبَر الصدْق وَالْكذب أَي مُطَابقَة النِّسْبَة للْوَاقِع وَعدم مطابقتها لَهُ بِخِلَاف النّسَب الإنشائية فَإِنَّهَا وَإِن كَانَت مُعْتَبرَة فِي الإنشاءات لَكِن لَا من حَيْثُ كَونهَا حِكَايَة عَن الْوَاقِع .[٢٨]

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون أن مفهوم الخبر عند أهل البيان، وأهل الكلام، والمناطقة، والأصوليين فمختلف عما هو الحال عند سواهم، فالخبر كلام تام يقابل الإنشاء[٢٩]، ولم يذكر أنه قائم على الصدق والكذب، وإنما هو مجرد كلام يقابل الإنشاء.

خلاصة ما سبق إن الخبر متمثل بمجموعة من الحدود، هي:

- كلام يصح السكوت عليه.

---

[٢٥] [] السيوطي. معجم مقاليد العلوم، ص: ٩٤.

[٢٦] []انظر: السنيكي. زين الدين أبو يحيى الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، ص: ٨٥.

[٢٧] [] انظر: المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ١٥٢.

[٢٨] []الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (٢٠٠٠م). دستور العلماء، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٢٦٦.

[٢٩] []. انظر: التهانوي، محمد بن علي (١٩٩٦م). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ج: ١، ص: ٧٣٥ – ٧٣٦.

- كلام يحتمل الصدق أو الكذب.
- كلام يقابل الإنشاء.

فهذه المحددات الثلاثة التي يمكن أن نستخلصها لمفهوم الخبر انطلاقاً من تعريفات البيانيين وأصحاب الاصطلاحات.

ويعد موضوع الخبر أحد موضوعات علم البلاغة بصورة خاصة حيث نال عناية البلاغيين بصورة تفوق النحاة، بمعنى أن البلاغيين كانوا أكثر لصوقاً بهذا العلم، ومن ناحية أخرى فإن البلاغيين يرون أن الخبر ضديد الإنشاء، أي أنهما يحملان على التعاكس بينهما، هذا التعاكس لا يعني التضاد الكامل، وإنما تضاد في طبيعة الدلالة التي يحملها كل من هذين القسمين، ففي الوقت الذي يدل فيه الخبر على الصدق والكذب، أي أنه يحتمل أحد هذين المعنيين، نجد أن الإنشاء لا يدل لا على الصدق ولا على الكذب، من هنا رأى البلاغيون أن يحملوا هذين العنصرين على التضاد .[٣٠]

وفي الوقت الذي أشرنا فيه إلى تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، نشير أيضاً إلى أن بعض العلماء لم يقفوا عند هذا الحد الثنائي في تقسيم الكلام، بل نظروا إلى الكلام نظرة أخرى، فجعلوا الطلب قسماً منفرداً بذاته، فالكلام عندهم: خبر، وطلب، وإنشاء، فالطلب وفقاً لما يرونه لا ينطبق عليه شرط الخبر، ولا ينطبق عليه شرط الإنشاء، وهذا التقسيم لا نقرّ به، فقد أقررنا منذ بداية هذا الفصل أن الكلام خبر وإنشاء، وزاد بعض البلاغيين النداء قسماً رابعاً، وبعضهم زاد غير ذلك، في حين أن الواقع يقول إن الكلام لا يعدو أن يكون خبراً وإنشاءً .[٣١]

وما دام الحديث يتشعب ليدل على فكرة الخبر والإنشاء، فلا بد لنا من توضيح معنى الإنشاء بعد أن بيّنا مفهوم الخبر بصورة أكثر شمولاً من تلك التي مرت معنا في التمهيد، وهذا ما يجعل الموضوع أكثر وضوحاً للمتلقي.

وخلاصة ما سبق فإن المقصود بالخبر ذلك الكلام المكون من تراكيب المسند والمسند

---

[٣٠] [] انظر: الطالبي. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج: ٣، ص: ١٦٢.

[٣١] []السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (د.ت). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة . مصر، ج: ١، ص: ٥٣.

إليه، وهو يحتمل الصدق والكذب، بمعنى أنه إخبار من المتكلم للسامع بأمر ما، ولا يحتمل سوى هذين الأمرين، وقد جاء الخبر في اللغة بألفاظ عديدة من بينها النبأ، علاوة على كون الخبر معنيّ بجملة تامة التركيب.

ثانياً: مفهوم الإنشاء:

الإنشاء مشتق من الجذر اللغوي "نَشَأَ"، وجاءت بمعنى الابتداء، يقال: أنشأ فلان يتكلم، أي ابتدأ الكلام، كما يقال: الإنشاء الأول، يقصد به الخلق الأول باعتباره هو الابتداء الأول .[٣٢]

يبين الجرجاني أن الإنشاء قد "يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارجٌ تطابقه أو لا تطابقه، وقد يقال على فعل المتكلم، أعني إلقاء الكلام الإنشائي، والإنشاء أيضًا إيجاد الشيء الذي يكون مسبوقًا بمادة ومدة" .[٣٣]

إذ لم يكتفِ الجرجاني في تعريفه السابق للخبر على المعنى العام المختص بالصدق والكذب، وإنما أشار إلى معنيين آخرين، الأول: وهو الكلام ذاته، أي التحدث، فنحن نقول: أنشأ فلان يخبرنا عن كذا وكذا، أي: شرع بالحديث، والثاني: الابتداع والابتكار، أي إنشاء الشيء إنشاءً، كقولنا: أنشأ فلان البيت، أي بناه، إذ أشار الجرجاني إلى هذين المعنيين.

أما السنيكي فيذكر أن الإنشاء ما ليس له نسبة في الخارج، بمعنى أنه ضد الخبر، وهو المعنى الذي ذكره الجرجاني بداية عند حديثه عن معنى الإنشاء .[٣٤]

أما المناوي فلم يزد على أن كرر الكلام الذي ذكره الجرجاني، إلا أنه فصل المعنى اللغوي عن المعنى الاصطلاحي، فذكر أن المعنى المرتبط بابتداء الشيء وإيجاده أصالة هو المعنى

---

[٣٢] ابن منظور. لسان العرب، ج: ١، ص: ١٧٣، الجذر: نَشَأَ.

[٣٣] الجرجاني. التعريفات، ص: ٣٨.

[٣٤] انظر: السنيكي، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، ص: ٧٤.

اللغوي، ثم سرد المعنيين الاصطلاحيين الآخرين .[٣٥]

أما الكفوي فقد ذكر التعريفات التي ذُكِرت من قبل عند سواه من علماء الاصطلاح، ثم إنه عرّج على الحديث عن إمكانية اجتماع الخبر والإنشاء المحمولين على التضاد في كلام واحد، فبيّن أنه لا يمنع اجتماعهما، وأنه يصلح أن يأتي الكلام للخبر والقصد منه الإنشاء، والعكس بالعكس[٣٦]، بمعنى أن الإنشاء يأتي في مقابل الخبر، و هُوَ الْكَلَام الَّذِي لَيْسَ لنسبته خَارج تطابقه ليَكُون صَادِقا وَلَا تطابقه ليَكُون كَاذِبًا فَهُوَ لَا يحْتَمل الصدْق وَالْكذب .[٣٧]

يقول التهانوي في بيان مفهوم الإنشاء: " يطلق – الإنشاء - على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، ويقابله الخبر. وقد يقال عن فعل المتكلم، أعني إلقاء الكلام الإنشائي ويقابله الإخبار. والمراد بالإنشاء في قولهم الإنشاء إمّا طلب أو غيره والطلب إمّا تمنّ أو استفهام أو غيرهما هو المعنى الثاني المصدري لا الكلام المشتمل عليها، لظهور أنّ قولهم ليت موضوع للتمني معناه إنها موضوعة لإفادة معنى التمنّي، لا للكلام الذي فيه التمني" .[٣٨]

ومن هنا يتضح لنا المقصود بمصطلح الإنشاء، إذ يمكن أن نجمل مفهوم الإنشاء بمجموعة من الأمور، وهي:

- كلام لا يحتمل الصدق ولا الكذب.
- في مقابل الخبر.
- بمعنى ابتداء الكلام أو فعل القول.

غير أن ما يعنينا من المفاهيم السابقة هو ما يتعلق بالكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب، بمعنى أنه في مقابل الخبر، فهو لا يحمل على التضاد بينه وبين الخبر، بل يُحمَل على التقابل فحسب، وهما – أي الخبر والإنشاء – متداخلان على ما سيظهر لنا عبر هذه الدراسة التي تتناول الحديث عن آيات القرآن الكريم.

---

[٣٥] انظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ٦٥.

[٣٦] انظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، ص: ١٩٧.

[٣٧]. الأحمد نكري. دستور العلماء، ج: ١، ص: ١٣٩.

[٣٨]التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: ١، ص: ٢٨٢.

ثالثاً: تحولات الخبر والإنشاء:

انطلاقاً من التعريفات السابقة لكل من الخبر والإنشاء وُضِعت محددات لكل منهما، وقد وضع علماء اللغة تقسيماً واضحاً لمظاهر الكلام المختلفة التي تدخل ضمن الخبر والإنشاء، فجعلوا للإنشاء أقسامه التي يختص بها، وأخرجوا الخبر من دائرتها، فاتضح بذلك عناصر التفريق بين الخبر والإنشاء، فجعل العلماء الإنشاء قسمين كبيرين، الأول: إنشاء طلبي، وهو الذي يقتضي مطلوباً وقت الكلام، بمعنى أن ينتظر المتكلم مطلوباً من المتلقي، وينقسم إلى خمسة أقسام: الأمر، والنهي، والتمني، والنداء، والاستفهام، فهذه الأقسام الخمسة تستدعي مطلوباً وقت الكلام؛ لذا دخلت ضمن الإنشاء الطلبي، ولم يكن هذا التقسيم حاسماً، فقد زاد بعض العلماء على هذه الخمسة الترجي أو الرجاء، إذ يختص بترقب حصول أمر ما، وتأسيساً على هذا الترقب أدخله بعضهم ضمن الإنشاء الطلبي[٣٩]، وتوسّع بض الباحثين خاصة المحدثين منهم فجعلوا الإغراء والتحذير من الإنشاء الطلبي، كما أدخلوا كذلك الدعاء إليها .[٤٠]

في حين أن الإنشاء غير الطلبي يشير إلى تلك الأساليب اللغوية، والأنماط الكلامية التي لا تستدعي مطلوباً حاصلاً وقت الكلام، بمعنى أن المتكلم لا ينتظر طلباً ما، كالتعجب مثلاً، والمدح والذم، وكم الخبرية، والرجاء إذا أخرجناه من الإنشاء الطلبي، وصيغ القسم المختلفة .[٤١]

كما مر بنا سابقاً، فإن البلاغيين قد وضعوا تقسيماً واضحاً للجملة في اللغة، فهي – أي الجملة – إما أن تكون خبرية، أو أن تكون إنشائية، في الوقت الذي ذكر فيه اللغويون المحدثون تقسيماً ثالثاً للجملة في العربية، وهي الجملة الإفصاحية، وهو مختلف نوعاً ما عن التقسيم القديم لدى البلاغيين، فالجملة الإفصاحية هي التي تعبر عن انفعالات المتكلم ومشاعره وحالته النفسية، وتتضمن في ذاتها النبرة الانفعالية التي توضح المعنى المراد .[٤٢]

---

[٣٩] انظر: الطالبي. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج: ١، ص: ٢٦، والقزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، ج: ١، ص: ٧٠.

[٤٠] الدمشقي. البلاغة العربية، ج: ١، ص: ٢٢١.

[٤١] انظر: السبكي، أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي (٢٠٠٣م). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٤٢٠، والقزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، ج: ١، ص: ٦٩.

[٤٢] الخليل، عبد القادر مرعي (١٩٩٥م). أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي دراسة تطبيقية في ديوان الشابي، مؤسسة رام للطباعة والنشر، الكرك – الأردن، الطبعة الأولى، ص: ٧٥.

بمعنى أن الجملة الإفصاحية هي تلك التي تشتمل على انفعالات خاصة، أو تعبر عن مشاعر المتكلم وأحاسيسه، فإذا حاولنا أن نبحث في العربية عن هذا المعنى، وعن هذه الفكرة فإننا لا شك سنجد هذا النمط من الجمل موجوداً في لغتنا الفصيحة.

فقد تضمنت اللغة العربية تراكيب يستخدمها المتكلم للتعبير عن مشاعره وانفعالاته وحالاته النفسية كتراكيب التعجب ولامدح والذم والإغراء والتحذير والاختصاص، وأسماء الأفعال والأصوات والقسم والنداء في بعض صوره كالندبة والاستغاثة، ويمكن درج هذه التراكيب تحت ما يسمى بالجملة الإفصاحية (الجملة الانفعالية) .[٤٣]

ومن المعروف في كتب البلاغيين وأصحاب المعاني حديثهم عن خروج الأساليب الإنشائية عن مقتضاها، فمثلاً يخرج الاستفهام عن معناه المختص بجانب الاستعلام عن حقيقة الشيء ليدل على معانٍ أخرى، مثل التقرير، والإنكار، والأمر، والدعاء، والتعجب، وغيرها من المعاني، فما ذاك إلا تفنن في كلام العرب، وزيادة في التلطف في طرح الاستفهام وإطلاقه للمخاطب؛ لذا خرج هذا الاستفهام عن مقتضاه .[٤٤]

تؤثر السياقات اللغوية المختلفة بالتراكيب اللغوية، فتنتقل دلالتها من مفهوم إلى آخر، فيأتي مثلاً القسم بلفظ القسم، غير أن معناه الخبر، أي تكون الجملة بلفظ الإنشاء، والمعنى خبر[٤٥]، فإن بعض الحالات الإنشائية تحكم على التركيب بحكم ما، كما يُقال مثلاً: كانَ النصر في معيتكم، فهذا في معناه دعاء، والدعاء إنشاء، من هنا فإن الشكل الخبري لهذه الجملة لم يكن فيصلاً في الحكم عليها بالخبرية،

بل كان المعنى والدلالة المرتبطة بالتركيب هو السبيل الذي حُكِم به على هذا النمط التركيبي بأنه إنشاء لا خبر، وأن "كان" التي تصدرت الكلام إنما هي تامة وليست ناقصة[٤٦]، إذ لو كانت ناقصة لتحتم أن تكون الجملة إخبارية لا إنشائية .[٤٧]

---

[٤٣] [] الخليل. أساليب الجملة الإفصاحية، ص: ٧٥.

[٤٤] [] انظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف (١٩٨٧م). مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ص: ٣٠٨ وما بعدها.

[٤٥] []. انظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (١٩٥٧م). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ودار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: ٢، ص: ٣٧٤.

[٤٦] [] السامرائي، فاضل صالح (٢٠٠٠م). معاني النحو، دار الفكر، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٢٠٨.

[٤٧] [] انظر: حسن، عباس (د.ت). النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة . مصر، الطبعة الخامسة عشرة، ج: ١، ص: ٥٤٦.

وبناء على ما تقدم فإنه من الواضح لنا أن العبارة الإنشائية يطرا عليها بعض التحول، وهو تحول في الدلالة، وبناء على هذا التحول تنتقل المعاني وتختلف المقصودات عند المتكلم، فمجيء الاستفهام للأمر مثلاً لا يعني استعلام المتكلم عما لدى المخاطب، بل إن الاستفهام في هذه الحالة قد طرأ عليه بعض التحول، ألا وهو انتقاله من المعنى الاستعلامي للدلالة على معنى الأمر، وهو ما يجعله نمطاً جديداً في الدلالة والمعنى، وإن كان التركيب ما زال على هيئة الاستفهام، فالتحولات التي تطرأ على الإنشاء تنقله من معنى إلى معنى، وتخرج الأسلوب الإنشائي من شكل لشكل آخر مختلف.

ويزداد الأمر أثراً وتحوّلاً حين ترتبط التحولات الكلامية بين الخبر والإنشاء جميعاً، بمعنى أن تنتقل دلالة الجملة الخبرية إلى دلالة إنشائية، أو ينتقل الأسلوب الإنشائي إلى معنى خبري، إنه تحوّل جذري كبير، وهو ما ستركز هذه الدراسة على تناول بعض موضوعاته.

ويمكن أن يدل الكلام على الخبر والإنشاء معاً، أي أنه يمكن اجتماع هذين الضديدين في كلام واحد، فتكون العبارة إنشائية يقصد بها الخبر، وتكون العبارة خبرية يقصد بها الإنشاء، وهو أمر قد يحصل على ما أشار الكفوي .[٤٨]

فالخبر قد يخرج عن مقتضاه، فيحمل دلالة إنشائية بعيدة تماماً عن طبيعة الشكل التركيبي التي يشير إليها ذلك التركيب الإخباري، فتنتقل الجملة من دلالة إخبارية بحتة' إلى دلالة إنشائية بحتة، فيقع التحول بين هذين الطرفين الكبيرين، فيأتي مثلاً الخبر بمعنى الأمر، أو الطلب، أو الدعاء، وتكون الإشارة السياقية أو الدلالية هي السبيل للوصول إلى تلك الدلالة، أي إن الجملة الإخبارية لا تقف عند حد الإخبار، بل تتعداه لتحمل معنى إنشائياً طلبياً أو غير طلبي .[٤٩]

ومعنى ما سبق أن دلالات السياق والمعاني قد تقود الجملة إلى معنى آخر، ودلالة أخرى، تتمثل بدلالة الإنشاء، فتوصف الجملة في هذه الحالة على أنها خبرية لفظاً، إنشائية معنى، أي إنها في تركيبها الظاهر للعيان جملة خبرية، ولكنها في معناها إنشائية، والفيصل في ذلك المعنى لا اللفظ والتركيب .[٥٠]

---

[٤٨] []. الكفوي. الكليات، ص: ١٩٧.

[٤٩] [] انظر في تحول الخبر إلى معنى الأمر: ابن الشجري. أمالي ابن الشجري، ج: ١، ص: ٣٩٣.

[٥٠] [] انظر: الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (١٩٩٧م). حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية،

وفي الوقت الذي يأتي فيه الخبر لفظاً إنشائياً في معناه قد تنقلب الآية، فتأتي الجملة الإنشائية في لفظها لتحمل الدلالة على الخبر في معناها، فإن بعض التراكيب والدلالات تحيل المتلقي إلى الخبر لا إلى الإنشاء .[٥١]

واستناداً إلى ما تقدم، فإنه يمكننا أن نميّز في الكلام العربي أربعة أنماط من الجمل، جملة خبرية لفظاً ومعنى، وجملة إنشائية لفظاً ومعنى، وجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، وجملة إنشائية لفظاً خبرية معنى .[٥٢]

وهذه الأنماط التي تنكشف عنها الجملة العربية في خبرها وإنشائها تقودنا إلى القول بأن ثمة تحولات دلالية سياقية تطرأ على التركيب اللفظي للجملة، فتدفعها نحو نمط محدد، أو معنى مخصص، فتنقل الخبر إلى الإنشاء، وتنقل الإنشاء إلى الخبر وهكذا، بمعنى أن هذا التحول أمر واقع في طبيعة الجملة العربية، وأن هذا التحول خاضع لبعض العناصر التي تفضي إليه، وإن من أبرزها السياق والتركيب.

رابعاً: أسباب التحول بين الخبر والأنماط النحوية:

خلصنا في ما سبق إلى أن طبيعة التركيب قد تنتقل من الخبر إلى الإنشاء، وهناك ثمة أسباب تؤدي إلى ذلك تتمثل في سببين مهمين يكمنان وراء تحول الجملة اللغوية من دلالتها اللفظية على الإخبار، إلى دلالة معنوية على الإنشاء، وتكمن وراء تحول الجملة من الإنشاء إلى الخبر على ما سنوضح في الجانب التطبيقي، أما هذان السببان فيتمثلان في السياق والتركيب، وفيما يلي توضيح ذلك بالتفصيل.

- السياق:

يحمل هذا المصطلح دلالة شبه معروفة لدى المتلقي، فسياق الكلام شيء شبه مفهوم لدى السامع، غير أن أمر تحديده بالصورة الدقيقة تختلف من موضع لموضع، وتختلف من متكلم لآخر، علاوة على أن مفهوم السياق تعتمد اعتماداً كبيراً على نوع السياق نفسه، فتحديد مصطلح السياق عند ارتباطه بالجملة ليس كتحديده عندما يرتبط بالتراكيب

بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ج: ٣، ص: ١٧٣.

[٥١] انظر: حسن. النحو الوافي، ج: ٢، ص: ٤٩٨.

[٥٢]. السبكي. عروس الأفراح، ج: ١، ص: ٤٩٦.

عموماً، كما أنه يختلف عن تحديده عندما يتعلق بالنص برمته.

وللسياق دور مهم في تحول الكلام من الخبر إلى الإنشاء، وبالعكس، فالسياق عنصر مهم في تحديد المعنى، وتقويم الدلالة، إذ لا يمكن النظر للكلمة بمفردها، ولا يمكن النظر للجملة وحدها دون ربطها بالسياق، مما يفتح الباب أمام التحولات الدلالية التي تخضع لها التراكيب فتنتقل من الخبر إلى الإنشاء، فتكون الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى.

أما السياق في اللغة، فهو مشتق من الفعل "ساق"، يقول ابن فارس في معنى هذا الفعل: " السين والواو والقاف أصل واحد، ومعناه حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسيِّقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأة صداقها، وأسقته، والسوق مشتقة من هذا لما يُساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سُميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها، ويقال: امرأة سوقاء، ورجل أسوق، إذا كان عظيم الساق".[٥٣]

كما تطلق العرب السياق على مهر المرأة عند خطبتها، وقد سمت العرب المهر سياقاً؛ لأنهم كانوا إذا أرادوا أن يخطبوا المرأة ساقوا لها الإبل والغنم، باعتبار أنها كانت أكثر أموالهم، ثم غلبت هذه التسمية على المهر أياً كان[٥٤]، وربما اتسعت دلالة هذا اللفظ "سياق" بالنسبة للمهر فصارت تطلق على كتاب عقد الزواج برمته .[٥٥]

هذا هو المعنى اللغوي العام للسياق، ونلحظ أنه يشير إلى معنى التتابع أو الترابط، فالمشي مثلاً يطلق عليه مصطلح السياق؛ لأنه يتبع بعضه بعضاً، وكل ما تتابع أو ترابط ببعضه بعضاً يُطلق عليه لفظ "السياق"، هذا هو المعنى العام الرئيس لكلمة "سياق".

إن المعنى الاصطلاحي للسياق فهو لا يبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي، إذ يشير أصحاب المعاجم الاصطلاحية إلى أن السياق تتابع للشيء، ويضربون لذلك بعض الأمثلة، فسياق الروح، أي انتزاعها من البدن، ليصير ذلك البدن بلا روح .[٥٦]

---

[٥٣] [] ابن فارس. معجم مقاييس اللغة، ج: ٣، ص: ١١٧.

[٥٤] [] ابن منظور. لسان العرب، ج: ١٠، ص: ١٦٦.

[٥٥] [] الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (٢٠٠٥م). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، الطبعة الثامنة، ص: ٨٩٥.

[٥٦] [] المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ٢٠٠.

وقد ذكر أصحاب المعاجم الاصطلاحية بعض المصطلحات المكونة من مضاف ومضاف إليه، فتكون كلمة "سياق" وكلمة أخرى، فقالوا مثلاً: سياق النفي[٥٧]، وسياق التركيب[٥٨]، فهذه المصطلحات ترتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالسياق نفسه، وإن كانت لا تحمل هذا الاسم بصورة مباشرة.

ولما كانت هذه الدراسة تتعلق بتحول الأنماط اللغوية في القرآن الكريم، فلا بد من الإشارة لمفهوم السياق القرآني، باعتباره هو الحكم الفيصل في الوصول إلى تلك التحولات الدلالية التي تطرأ على الجملة الإخبارية لتنتقل إلى معنى إنشائي، فالسياق القرآني هو: تتابع الآيات والجمل والتراكيب ضمن الدلالة الواحدة، وترابطها مع بعضها بعض وفق النظام المخصص للنص القرآني .[٥٩]

ويمكن من خلال السياق أن نصل إلى الدلالة الحقيقية للألفاظ، علاوة على فهمها فهماً دقيقاً اعتماداً على العلاقات الناظمة لها ببعضها بعض، كما يمكن النظر إلى هذا السياق انطلاقاً من الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه تلك الألفاظ، وبهذه العناصر نتمكن من الوصول إلى دلالات مغايرة لما عليه ظاهر الكلام ضمن النص القرآني مثلاً .[٦٠]

فيمكن النظر إلى السياق وفقاً لمنطلقين، الأول: دلالة المقال، والثاني: دلالة الحال، ولا يمكن فصل هاتين الدلالتين عن بعضهما بعضاً، وإذا وقع الاهتمام بالنظر إلى دلالة المقال دون الحال فإن ذلك السياق ينحو نحو اللغة لا نحو الدلالة السياقية .[٦١]

ويشير السياق القرآني إلى تتابع الألفاظ وتساوقها ضمن التركيب اللغوي للآية القرآنية، مع الأخذ في الاعتبار ما قبلها وما بعدها من النصوص القرآنية، بمعنى أن دلالة السياق لا تؤخذ وحدها، بل لا بد من ربط دلالة الآية الكريمة بدلالات الآيات قبلها وبعدها، وصولاً إلى

---

[٥٧] []الكفوي. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص: ١٠٠٩.

[٥٨] []التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: ٢، ص: ١٤١٤.

[٥٩] []انظر مثلاً: أبو زهرة. زهرة التفاسير، ج: ١٠، ص: ٥٢٨٩.

[٦٠] []. انظر: مكرم، عبد العال سالم(١٤١٧هـ). المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، ص: ٤٤.

[٦١] []. انظر: المطيري، عبد الرحمن عبد الله (٢٠٠٨م). السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، إشراف: خالد بن عبد الله القرشي، مكة المكرمة . السعودية، ص: ٦٥.

المعنى السياقي الدقيق لتلك العبارة أو الجملة .[٦٢]

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير الآية الكريمة: "إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ"، [الأنفال، ١٩].

لقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن في خطاب هذه الآية الكريمة قولين: الأول: أنه خطاب للكافرين والمشركين، ويعني أنهم إن يطلبوا الفتح للحق فإن الله يفتح للحق، وإن يعودوا عن كفرهم وضلالهم فإن الله يغفر لهم، وإن استمروا على عدائهم للنبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . فإنه سبحانه وتعالى سيبقى ينصر نبيه، ولن يغني عن المشركين شيئاً، أما الثاني: فقيل إن الخطاب في هذه الآية للمؤمنين، وأنه جاء وفق سياق الكلام الذي قبله والذي بعده، إذ يقول الشيخ: "ولولا السياق لكان الأول أولى وأرجح؛ لأنه أظهر" .[٦٣]

والسياق القرآني تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، وذلك من أجل أن تبلغ غايتها الموضوعة لها في تبيين المعاني القرآنية المقصودة دون انقطاع أو انفصال فيها .[٦٤]

وبناء على ما سبق يمكن أن نصل إلى مصطلح دلالة السياق القرآني، وهي تلك الدلالة التي تختص بانتظام معنى المفردة القرآنية مع ما قبلها وما بعدها من الكلمات والجمل والآيات .[٦٥]

فالسياق هو الذي يحدد طبيعة المعنى المرتبط بالمفردة القرآنية، والسياق هو السبيل للوصول إلى دلالة الألفاظ، بمعنى أن الكلمة بمفردها لا تحمل معناها الدقيق، هذا من وجهة نظر القائلين بالسياق القرآني، أما هذه الدراسة فستُعْنى ببيان أثر السياق في التحول الدلالي بين الخبر والإنشاء في آيات القرآن الكريم، إذ إن طبيعة السياق تقودنا إلى الحكم على الآية القرآنية بأنها تحمل معنى مغايراً لما عليه طبيعة التركيب الأصلية للكلام، فالتركيب والسياق

---

[٦٢] انظر: القاسم، عبد الحكيم (٢٠٠٧م). دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، رسالة ماجستير، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الرياض . السعودية، ص: ٦٢.

[٦٣] رضا، محمد رشيد بن علي (١٩٩٠م). تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى. ج: ٩، ص: ٥١٩ . ٥٢٠.

[٦٤] محمود، المثنى عبد الفتاح (٢٠٠٨م). نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية نظرية نقدية، دار وائل، عمان . الأردن، الطبعة الأولى، ص: ١٥.

[٦٥] انظر: المطيري، أحمد لافي (٢٠٠٧م). دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، عمان . الأردن، ص: ١٤.

يتعاضدان للوصول إلى المعنى الدقيق للكلمة القرآنية ضمن ما يحيط بها من مفردات وجمل، والسياق طريق من طرق التحول الدلالي ضمن الخبر والإنشاء في هذه الدراسة.

ولا يبتعد حديثنا عن السياق القرآن عن فكرة النظرية السياقية التي تهتم بالسياق في الوصول إلى الدلالات الدقيقة للوحدات الكلامية التي يتكون منها التركيب اللغوي، إذ تشير هذه الفكرة إلى أن السياق هو القادر على تحديد المعاني الدقيقة للكلمات، وأن الأنظمة السياقية التي يتشكل منها الكلام، والتراكيب السياقية التي تحمل المعاني المتضامة إلى بعضها بعض هي القادرة على منح المتلقي المعنى الدقيق الذي يسعى للوصول إليه عبر تلك الجمل والتراكيب، بمعنى أن السياقات المختلفة هي القادرة على إيصال الدلالة الدقيقة للمتلقي .[٦٦]

ويمكن القول أن النظرة إلى السياق في سبيل تحديد الدلالة العامة للكلام، وبيان الدلالة المستقلة للوحدات الكلامية ليست جديدة في الدرس اللغوي العربي، فصحيح أن النظرية السياقية جديدة في معطياتها العلمية الحديثة، إلا أننا نجد بعض تلك الملحوظات العلمية التي تشير إلى محاولة جادة من بعض نحاتنا القدماء في الوصول إلى فكرة السياق في تحديد المعاني ودلالات الألفاظ، ولعل أكثر تلك المحاولات جدية وأكثرها ثماراً تلك التي قام بها عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم، فإن نظرية النظم تنطلق من الطبيعة السياقية التي تحكم الألفاظ والمفردات[٦٧]، من هنا فهي ذات ارتباط واضح ومباشر بالنظرية السياقية السياقية وبسياق الكلام وفقاً لما تنظر إليه هذه الدراسة.

وبعد أن تناولنا الحديث عن السياق، وبيّنا معناه، والمقصود به ضمن الدلالة القرآنية، فإننا نؤكد هاهنا على الدور الفاعل والكبير الذي يلعبه السياق في تحول الكلام من الدلالة الإخبارية إلى الدلالة الإنشائية، فإن السياق هو القادر على نقل دلالة الجملة من الخبر إلى الإنشاء، وفقاً لما يعضده المعنى، ويؤيد السياق، فإن المفردات والألفاظ التي يحكمها سياق الآية نفسها أو الآيات تمنح المتلقي معنى مغايراً لما عليه ظاهر التركيب المتمثل بالجملة الإخبارية، وذلك بالانتقال إلى معنى إنشائي يرفده السياق ضمن تلك الآية الكريمة، ويؤيده المعنى العام المرتبط بتلك الجملة، مما يعني أن أحد أهم الأسباب التي تفضي إلى تحول

---

[٦٦] [] انظر: حسان، تمام (٢٠٠٦م). اللغة العربية معناها ومبناها، دار عالم الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ص: ١٥٧.

[٦٧] [] انظر: حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، ص: ١٨٦.

المعنى من الخبر إلى الإنشاء هو السياق العام الذي يحكم التراكيب ضمن جملها المختلفة.

- التركيب:

يشير مصطلح التركيب إلى تشكل مجموعة من المكونات والعناصر مع بعضها بعضاً لتكون نمطاً ما، أو جملة محددة، هذا هو المعنى الأصلي للتركيب على ما سنوضحه مفصلاً في الفقرات الآتية، فإن فكرة التركيب تنبع من طريقة تعالق الوحدات الكلامية مع بعضها بعضاً ضمن علاقة تركيبية تحددها وتبين نوع ذلك التركيب.

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن السياق له دور فاعل في تحول الجملة من الدلالة على الخبر إلى الدلالة على الإنشاء، بمعنى أنه ينقل الكلام من الخبر إلى نمط لغوي نحوي متمثل بأحد الأساليب الإنشائية، ولكن ذلك لا ينفي الدور الحقيقي للتركيب، فإن النظام التركيبي للجملة الإخبارية يختلف تماماً عن النظام التركيبي للنمط النحوي، أو الأسلوب الإنشائي، بمعنى أن التركيب يعد سبباً من أسباب تحول الدلالة، إذا أخذنا في الاعتبار طبيعة ذلك التركيب المرتبط بالمعنى نفسه.

أما التركيب فقد أشار العلماء إلى مفهومه على أنه ما يشير جزء لفظه إلى جزء معناه، بمعنى أن كل جزء يُكّون التركيب يحمل جزءاً من المعنى، فإذا اكتمل التركيب اكتمل المعنى، والتركيب في العربية خمسة أنواع، التركيب الإسنادي، وهو القائم بين المسند والمسند إليه، سواء أكانت الجملة اسمية أم فعلية، نحو: جاء زيدٌ، وزيدٌ قائمٌ، والتركيب الإضافي، وهو الذي يتكون من المضاف والمضاف إليه، فلا يتم المعنى ولا يكتمل إلا باكتمال التضايف بين هذين العنصرين، والتركيب التعدادي، وهو الذي يدخل في الأعداد مثل: تسعة عشر، والتركيب المزجي، مثل: بعلبك، وحضرموت، والتركيب الصوتي، مثل: سيبويه .[٦٨]

وينقسم التركيب حسب دلالته إلى قسمين، التركيب التام، وهو الذي يكتمل معناه باكتمال عناصره التركيبية البنائية، والتركيب غير التام، وهو الذي لا يكتمل معناه، ولا تتم دلالته حتى بعد اكتماله تركيبياً، فاكتمال التركيب لا يعني تمام المعنى، بل يبقى التركيب غير التام بحاجة لمزيد من المكونات المعنوية والدلالية لتكتمل دلالته .[٦٩]

---

[٦٨] []انظر: الجرجاني. التعريفات، ص: ٢٢٣، والكفوي. الكليات، ص: ٨٢٨، والأحمد نكري. دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج: ٣، ص: ١٦٨.

[٦٩] [] انظر: المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ٣٠٣.

ويبين أحمد مختار عمر أن مفهوم التركيب عند المحدثين يختلف تماماً عن مفهومه عند القدماء، فقد تحوّلت دلالة هذا المصطلح من الدلالة على الجانب الإسنادي البحت، للدلالة على الجانب التأليفي للكلام، فكل جزء يتألف منه الكلام يعد جزءاً من التركيب .[٧٠]

بمعنى أن كل مفردة من الكلام تعد عنصراً في التركيب، وهو ما بيّنه الخولي ضمن حديثه عن التراكيب الشائعة في العربية، فأدخل فيها الحديث عن اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر الصريـح، ونحو ذلك من عناصر الكلام، وعدّ جميع هذه المكونات اللغوية من قبيل التراكيب .[٧١]

وفي الوقت الذي كان فيه التركيب يأخذ أنواعاً مختلفة ومتعددة، فإن جُل اهتمام النحاة القدماء وتركيزهم كان منصباً على التركيب الإسنادي، حتى إنهم صاروا يطلقون كلمة "تركيب" على التركيب الإسنادي، وصار هذا النوع من التركيب يرادف مصطلح الجملة في العربية .[٧٢]

والعلاقة الإسنادية التي يطلق عليها التركيب الإسنادي لم تكن مجهولة لدى النحاة القدماء، بل إن هذه العلاقة قد بدأت ببدئ الدرس اللغوي ذاته، فسيبويه يبين لنا قوة هذه العلاقة بين هذين الركنين من أركان التركيب، فيقول: ""هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجد المتكلّمُ منه بداً. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيُّ عليه. وهو قولك عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك. ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوَّلِ بدٌ من الآخرِ في الابتداء".[٧٣]

ولا يقف الأمر عند التركيب الإسنادي بوصفه خبراً في الكلام العربي، بل إن الكلام الإنشائي يدخل كذلك ضمن التراكيب اللغوية المختلفة، فالإنشاء وما يرتبط به من عناصر التركيب المختلفة، وملامح الأساليب النحوية المتعددة تدخل ضمن علم المعاني في اللغة،

---

[٧٠] انظر: عمر، أحمد مختار (١٩٩٨م). أسس علم اللغة، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، الطبعة الثامنة، ص: ٢٢٧.

[٧١] الخولي، محمد (١٩٨٢م). التراكيب الشائعة في اللغة العربية (دراسة إحصائية)، دار العلوم للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ص: ٢٣، ٤٦، ٦٢، وغيرها.

[٧٢] انظر: ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف (د.ت). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ج: ٤، ص: ٥٣، وانظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (د.ت). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، دار القلم، ودار كنوز إشبيليا، دمشق، ج: ١، ص: ٣٦.

[٧٣] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٩٨٨م). الكتاب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة، ج: ١، ص: ٢٣، وانظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت). المقتضب، تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ج: ٤، ص: ١٢٦.

وهو علم يختص بالبحث في بلاغة التحولات التركيبية الإسنادية والإنشائية في العربية .[٧٤]

ويبين الدكتور كمال بشر أن علم المعاني علم يناقش مسائل الخبر والإنشاء، وصدق الخبر وملامح التوكيد اللفظي، وغيرها من أصناف التراكيب التي ترتبط بالمعاني المختلفة، ويجعل من الإعراب سبيلاً للوصول إلى هذه الغايات التي ترتبط بعناصر التركيب المختلفة .[٧٥]

واستناداً إلى منجزات النحاة القدماء، وكما هو معلوم لدينا، فإن التركيب الإسنادي في العربية ينقسم إلى قسمين: الإسناد الاسمي، وهو الجملة الاسمية في حدها الأدنى، إذ تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر، يسمى المبتدأ مسنداً إليه، في حين يسمى الخبر مسنداً، وتربط هذين العنصرين مجموعة من العلاقات التركيبية وغير التركيبية، انطلاقاً من طبيعة تلك العلاقة الإسنادية التي تربط هذين العنصرين، فمن جهة التأنيث مثلاً نجد أن الخبر يوافق المبتدأ في التأنيث، كقولنا: هندٌ قائمة، فإن الخبر جاء متناسباً تأنيثاً مع المبتدأ، أما من جهة الإفراد والتثنية والجمع، فنجد مثلاً قولنا: الرجلان كريمان، والرجال كرماء، فناسب الخبر المبتدأ في الجمع والتثنية، فهذه بعض الملامح التي يشترك بهما عنصرا الجملة الاسمية أو التركيب الاسمي في العربية .[٧٦]

وبالنسبة للتركيب الاسمي فإن المبتدأ والخبر ركنا الجملة الاسمية، وإذا لم يوجدا في الجملة فلا بد من تقديرهما، وإذا تعذّر تقديرهما أو تقدير أحدهما فإن الكلام يكون في هذه الحالة ضرباً من القول الذي لا فائدة منه، إذ لا تتم الفائدة والمعنى إلا بتمام هذين الركنين من أركان الجملة الاسمية .[٧٧]

كما تشتمل اللغة العربية على نمط تركيبي آخر ألا وهو التركيب الفعلي، وهو يختلف عن التركيب الاسمي أن هذا التركيب يبدأ بفعل أصالة، في حين أن التركيب الاسمي يبدأ باسم أصالة، أو بأحد الأفعال الناسخة، وهذا النوع من التركيب الإسنادي يسمى فيه الفعل مسنداً، في حين يسمى الفاعل مسنداً إليه، ويرتبط الفعل بالفاعل عبر مجموعة من

---

[٧٤][]انظر: أبو موسى، محمد محمد (د.ت). خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، الطبعة السابعة، ص: ٦.

[٧٥][]انظر: بشر. دراسات في علم اللغة، ص: ٢٦٤، وانظر: حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، ص: ٣٣٦.

[٧٦]> انظر: حسان. مناهج البحث في اللغة، ص: ٢١٨، وانظر: الغلاييني، مصطفى محمد (١٩٩٣م). جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون، ج: ٣، ص: ٢٨٤.

[٧٧][]. انظر: ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي (٢٠٠١م). شرح المفصل، قدم له، الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٢٣٠.

العلاقات التركيبية والدلالية التي تجعل من المعنى أكثر وضوحاً بالنسبة للمتلقي، كالتأنيث والتذكير، والإفراد والتثنية والجمع، ونحو ذلك من العلاقات التي نلحظها ضمن هذا النمط من أنماط التراكيب في العربية .[٧٨]

وبناء على ما قد مضى، فيمكن القول إن التركيب الإسنادي في العربية يحمل مجموعة من السمات والخصائص، من بينها:

- الإسناد: فالتركيب الإسنادي يتكون من مسند ومسند إليه، وإذا لم يوجد هذا الشرط أو هذه الخصيصة، فلا يعود الكلام تركيباً صحيحاً.

- الإعراب: والإعراب لا بد منه في التركيب الإسنادي، إذ به تتضح عناصر المعنى المختلفة، فالحركات الإعرابية دوال على المعاني المختلفة، ولا يمكن الوصول إلى المعنى الحقيقي الدقيق إلا بوساطة الإعراب؛ لذا فهو مهم جداً في تشكيل التركيب الإسنادي في العربية .[٧٩]

- دلالة جزء التركيب على جزء المعنى، وباجتماع أجزاء التركيب يكتمل المعنى، فلا يمكن لعنصر واحد من عناصر التركيب أن يؤدي المعنى كاملاً إلا بتظافر الأجزاء الأخرى لتكملة ذلك المعنى .[٨٠]

- فصاحة التركيب، إذ إن التركيب العامي لا يعد تركيباً صحيحاً في اللغة، إذ لا بد من وجود الفصاحة في هذا التركيب، وأن يكون خاضعاً للمستوى الفصيح من اللغة؛ لأن العامية تختلف في طبيعة تراكيبها عن اللغة الفصيحة المعيارية .[٨١]

ومن هنا تتضح لنا تلك العلاقة التي تربط الجمل اللغوية بعضها ببعض، إنها علاقة تركيبية بحتة، قائمة على أساس الإسناد بالدرجة الأولى، غير أن هذا التركيب قد يخرج عن دائرة الإسناد ليشمل مظاهر أخرى من العلاقات اللغوية بين وحدات الكلام المختلفة، كما

---

[٧٨] حسان، مناهج البحث في اللغة، ص: ٢١٨، وانظر: النشرتي، حمزة عبد الله (١٩٨٥م). الرابط وأثره في التراكيب في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة، ١٧، ع، ٦٧، ٦٨، ص: ١٦٢.

[٧٩] انظر: الصالح، صبحي إبراهيم (١٩٦٠م). دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: ١٢٠.

[٨٠] انظر: السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: ٦٣، والكفوي، الكليات، ص: ٨٢٨، والأحمد نكري، دستور العلماء، ج: ٣، ص: ١٦٢.

[٨١] عبد التواب. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: ١٣٤.

نشير هاهنا إلى أن طبيعة التركيب الخبري تختلف عن التركيب الإنشائي، فلكل منهما تركيبه، وإن اختلاف التركيب يفضي إلى اختلاف المقصود من الكلام، ومن هنا يكون التركيب سبباً في تحول الكلام من الخبر إلى الإنشاء، ومن نمط إلى نمط آخر، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المعنى يعضد ذلك كله.

قائمة المراجع

أبو بكر، محمد بن الحسن ابن دريد. (١٩٨٧). جمهرة اللغة (تحقيق: رمزي منير بعلبكي). بيروت: دار العلم للملايين.

أبو بشر، عمرو بن عثمان سيبويه. (١٩٨٨). الكتاب (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ج ١.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (١٩٩٠). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. دمشق: دار القلم ودار كنوز إشبيليا، ج ١.

أبو المعالي، محمد بن عبد الرحمن القزويني. (١٩٨٥). الإيضاح في علوم البلاغة (تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي). بيروت: دار الجيل، الطبعة الثالثة، ج ١.

أبو موسى، محمد محمد. (١٩٩٥). خصائص التراكيب: دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني. القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة السابعة.

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. (١٩٨٠). العين (تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي). بيروت: دار ومكتبة الهلال، ج ٨.

أبو حامد أحمد بن علي السبكي. (٢٠٠٣). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (تحقيق: عبد الحميد هنداوي). بيروت: المكتبة العصرية، ج ١.

أبو يحيى زكريا بن محمد السنيكي. (١٩٩٠). الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (تحقيق: مازن المبارك). بيروت: دار الفكر المعاصر، ج ١.

الأحمد نكري، عبد النبي بن عبد الرسول القاضي. (٢٠٠٠). دستور العلماء: أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١.

الخليل، عبد القادر مرعي. (١٩٩٥). أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي: دراسة تطبيقية في ديوان الشابي. الكرك: مؤسسة رام للطباعة والنشر.

الخولي، محمد. (١٩٨٢). التراكيب الشائعة في اللغة العربية: دراسة إحصائية. القاهرة: دار العلوم، الطبعة الأولى.

الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن. (١٩٩٦). البلاغة العربية. دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ج ١.

الجرجاني، علي بن محمد الزين الشريف. (١٩٨٣). التعريفات (تحقيق: مجموعة من العلماء). بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

الحجازي، محمود فهمي. (٢٠٠٦). مدخل إلى علم اللغة العربية. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع.

الحسان، تمام. (٢٠٠٦). اللغة العربية: معناها ومبناها. بيروت: دار عالم الكتب، الطبعة الخامسة.